صالون الجزائر للكتاب ال٢١ .. بين كثافة الإقبال وتراجع القوة الشرائية واكتشاف مواهب جديدة

الجزائر - ياسر بهيج :

٢٤ ساعة فقط تفصل الدورة الحادية والعشرون عن ختامها ، غدًا السبت ، وعلى مدار ٩ أيام كاملة ، عاش عشاق الكتاب من الجزائريين ، ومختلف الاجناس ، عربية وأجنبية ، تظاهرة ثقافية متجددة دومًا ، من دورة لأخرى ، لبت كل رغباتهم من صنوف الإصدارات : أدبية ، وعلمية ، وفنية ، وسياسية ، واجتماعية ، وفلسفية ، ونفسية ، واقتصادية ، وأطفال .. إلخ ، تميزت بالتنظيم ، والتدقيق ، والمتابعة ، والتأمين ، لم يحدث فيها مايعكر الصفو .. الشعب ودود ، متناغم مع أحواله ، رغم الأزمة الاقتصادية التي تمر بها الجزائر ، وحالة التقشف التي فرضتها على المواطن ، الذي يعاني بدوره ضعف الراتب ، الذي يصل إلى مايعادل ألفي جنيه مصري شهريًا ، تكفي بالكاد معيشته ، وبالتالي لم تعد لديه القدرة الشرائية ، لاقتناء ما يحلو له ، فيكتفي بالفرجة ، والتجول لمجرد الاطلاع على عناوين الكتب ، وأحدث الإصدارات ، والشراء في أضيق الحدود .

وطوال أيام الصالون ، تجولت "الأهرام" في أروقة القاعات ، وتفقدت دور العرض ، والتقت العارضين ، والأدباء ، والشعراء والمثقفين ، وسجلت أبرز الظواهر في هذا التقرير :

تكتظ أجنحة المعرض بدور العرض المختلفة ، من شتى الدول المشاركة ، وأكثرها عربية ، وكذلك المحلية الجزائرية ، وتجمع الأزمة الاقتصادية بين الجميع في الشكوى ، فارتفاع - كما يقول احد الناشرين بدار الشروق الأردنية ل"الأهرام" - الدينار الجزائري أمام اليورو الأوروبي ألقى بظلال سيئة على الناشرين ، الذين وصفهم بأنهم أكثر المتضررين ، لأن تكاليف إيجار المتر المربع ارتفعت معه ، وكذلك مصاريف الشحن ، ماترتب عليه بالتالي ارتفاع موازٍ في أسعار الكتب ، ولكن بنِسَب محددة بالطبع لاتتجاوز من ١٠ إلى ٢٠ ٪ ، حتى لا يفقد الناشر زبائنه .

وبحسب الناشرة الجزائرية آسيا موسى صاحبة دار نشر ميم ، ل"الأهرام" فإن الزيادة امتدت كذلك للورق ، وللطباعة ، وإن كانت أقل في أسعار الكتب بدور النشر الجزائرية ، من نظيرتها العربية ، والأجنبية ، التي تتحمل تكاليف الشحن من دولها ، وتتمنى من الحكومة الجزائرية أن تدعم الكتاب ، كحل للخروج من تلك الأزمة .

ورغم تراجع الشراء - كما جاء على لسان الناشر المصري أسامة إبراهيم صاحب دار النخبة ل"الأهرام" - لكن الأمل مازال قائمًا في ارتفاع نسب البيع ، مع رفع يافطات الخصم ، وحرق الأسعار ، الذي تُقبِل عليه بعض دور النشر ، خلال اليومين الاخيرين للصالون ، إذ تجد إقبالًا أكثر من الجماهير ،الذين يتخذون قرار الشراء بسهولة ، نظرًا لتناسب الأسعار بعد حرقها ، مع إمكانات جيبه ، كما تعم بالفائدة - في الوقت نفسه - على ناشري الدول المشاركة ، الذين يرتفع هامش ربحهم ، وتقل خسارتهم ، مع البيع المكثف ، الذي يخلصهم من كميات الكتب ، ولو لاقصى حد ، فيعودون راضين نسبيًا .

مع قرب انتهاء فعاليات الصالون ، تضاعفت أعداد الزائرين ، خاصة مع العطلة الطويلة ، التي تصل لأسبوع ، منذ بدء الاحتفالات بعيد الثورة الجزائرية في الاول من نوفمبر من كل عام ، وبالفعل تعدت رقم العام الماضي ، الذي بلغ مليونًا ونصف المليون ، وقاربت المليونين ، الذي تمنى بلوغه محافظ الصالون حميدو سعيدي ، وإن لم تبلغه بعد ، ومازال يتبقى يوم واحد على الختام ، وحتى لو لم تبلغه ، فيكفي الصالون نجاحًا كسره الرقم السابق ، مما يعني انه يتطور من عام لآخر ، ويحقق جذبًا للعارضين ، الذين بلغوا ٩٦٨ ، من ٥٠ دولة شاركت هذا العام ، كانت ٤٦ ، في الدورة العشرين الماضية .

ومن الظواهر الإيجابية للصالون - كما يقول الناشر الجزائري كريم شيخ صاحب دار أبيك ل"الأهرام" - تزايد إقبال طلبة وطالبات الجامعات ، على شراء الكتب الأكاديمية والعلمية والدراسية ، فضلًا عن دواوين الشعر ، والروايات الأدبية ، الذي عوَّض إحجام المواطن الجزائري ، ورسخ الأمل في نشوء جيل مثقف ، محب للمعرفة ، وأيضًا رحلات المدارس ، على مدار أيام المعرض ، التي صبت في مصلحة العارضين ، وارتفاع نسب البيع ، مع تهافت التلاميذ ، من كل الأعمار ، على شراء القصص ، والحكايات .

ويرى الناشر الموسوعي الجزائري الكبير رشيد خطاب ، صاحب دار خطاب ، أن مشاركة مصر كضيف شرف ، من أهم الظواهر الإيجابية للصالون ، بالزخم الذي حققته أنشطتها الفنية ، والثقافية ، التي وصفها بأنها أشعرت زائري المعرض بالحياة ، وخاصة الحفلتين الرائعتين ، الذين أحياهما الموسيقار الكبير أحمد الحجار ، والشاعر الغنائي القدير ناصر دويدار ، إذ التف حولهما الزائرون من كل الأعمار ، ليستمتعوا بتراث مصر الحي، إلى جانب الندوات التي تعرف بثقافة وتاريخ بلاد النيل والهرم ، وأفلام الزمن الجميل كالناصر صلاح الدين أيقونة الرائع يوسف شاهين ، والقاهرة ٣٠ ، وغيرهما .

كما انتشرت بعض حفلات التوقيع ، في بعض دور النشر ، لأدباء جزائريين شباب واعدين ، في مقتبل العمر ، ومازالوا في أول طريق الإبداع ، لتسجل نقاط قوة للصالون ، دور النشر ، في اكتشافهم ، وتعريف الجمهور بهم ، وبباكورة نتاجهم الأدبي ، مثل الروائية الشابة بشرى بوشارب ، التي أبدت ل"الأهرام"سعادة وامتنانًا ، لدار نشر النخبة المصرية ، وصاحبها الكاتب أسامة إبراهيم ، وهي توقّع نسخ أولى رواياتها "حروف الدم" لجمهورها ، فيما أكد الناشر المصري إعجابه بالرواية ، وسعيه لطبعها ، وتسويقها بمصر .

وعلى الجانب الآخر ، حرص العديد من مبدعي جيل الوسط في الجزائر ، كُتَّابًا وشعراء ، على الحضور لدور النشر الصادرة لإبداعاتهم ، والتوقيع لجمهورهم ، والتواصل مع معجبيهم ، والتقاط الصور التذكارية معهم ، وإجراء الحوارات مع الصحفيين ، مما حقق زخمًا آخر للصالون ، كما عبرت عن ذلك الروائية الجزائرية عايدة خلدون ، ل"الأهرام" ، وهي توقع أحدث رواياتها "رائحة الحب" ، والشاعرة الأمازيغية نصيرة بن ساسي ، وآخر دواوينها "تراتيل كاهنة" ، الصادرين عن دار ميم ، وكشفت المبدعتان عن مدى عشقهما لمصر ، التي زاراها عدة مرات ، وتدينان لها بالفضل في اكتشافهما ودعمهما ، في بداية الطريق ، وتتمنيان أن تُقبل مصر أكثر على شقيقتها الصغرى الجزائر .

ويؤكد مدير مركز الاتصال والإعلام الإعلامي الكاتب الجزائري جمال شعلال ، ل"الأهرام" أنه من أبرز الإيجابيات كذلك ، النشاط الإعلامي الموازي لفعاليات الصالون ، من وسائل الإعلام الجزائرية صحافة وإذاعة وفضائيات ، إذ بذل المذيعون والمذيعات في الإذاعة الجزائرية مجهودًا واضحًا في تغطية الفعاليات المهمة ، على مدار الأيام ، واستضافة العديد من الشخصيات البارزة ، والمثقفين ،من وفود الدول المشاركة ، وكذلك فعلت الفضائيات الخاصة المحلية ، كالنهار ، والجزائرية ، والخبر، وقنوات التلفزيون الرسمي ، التي تميزت بمقدميها وفنييها الشباب ، وتم فتح صالة كاملة لها ، وتقسيمها لأركان ، احتوت الكاميرات ، وأجهزة البث المباشر ، مما سهل استضافة الضيوف ، وإجراء العديد من الحوارات الثرية ، وعلى النشاط نفسه سار شباب المركز الصحفي ، الذين سجلوا حضورًا بارزًا ، وتغطية لأهم المشاركات ، وأحدث الإصدارات ، وندوات وحفلات التوقيع لكبار الأدباء ، كأحلام مستغانمي .

وأخيرًا ، تميز المعرض بالتنظيم الجيد ، من خلال التوزيع السليم ، لأماكن بيع الأطعمة ، بعيدًا عن الأجنحة ، وتوافر خيام مجهزة للإنقاذ ، بها أجهزة طبية متخصصة ، لأي طوارئ ، وانتشار رجال الأمن في أرجاء قاعات الصالون ، وبالخارج ، وإقبالهم على مساعدة أي زائر بمنتهى الود ، فمنح جوًّا من الراحة للجماهير ، عند التجوّل ، فضلًا عن خيام الأنشطة المختلفة لإمتاع وإفادة الأطفال ، كالرسم ، والتلوين ، والقراءة ، والألعاب .